٢ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

شهداء :

في يوم الاثنين ١٥ من أكتوبر ١٩٥١ أقر البرلمان المصري التشريعات التي قدمتها إليه حكومة جلالة ملك مصر والسودان وهي الخاصة بإلغاء اتفاقيتي السودان ١٨٩٩ ومعاهدة ١٩٣٦ ، وبذلك تخلصت مصر من القيود التي كانت تحد من سيادتها وحريتها وتقف في سبيل وحدة الوادي

ولكن الغاصب الأجنبي رفض أن يعترف بما قررته مصر ، وأعلن تمسكه بالمعاهدة ؛ بل زاد فأكثر من قواته البرية والجوية والبحرية

وهنا قام نضال بين مصر التي لا تبغي إثما ولا عدوانا بين عصابة اللصوص من الدول الاستعمارية فانضمت أمريكا وفرنسا إلى إنجلترا وعملتا على تأييدها وشد أزرها

وكان من الطبيعي أن يظهر المصريون شعورهم وتبطنهم بتحررهم فقامت المظاهرات في جميع أنحاء البلاد تعلن ابتهاج مصر بما قرره البرلمان . وساء الإنجليز ابتهاج المصريين بإلغاء المعاهدة فأطلقوا قواتهم في مدن القنال الهادئة الوادعة ثم اعتدوا على الشعب الأعزل بمدافعهم ونيرانهم فسالت دماء الأبرياء من الشهداء المصريين

وأكثر من هذا أنهم منعوا بالقوة تشييع جنازات شهداء مدينة الإسماعيلية الذين استشهدوا في يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر وهكذا تعتدي إنجلترا — وهي التي تعلقت مصر بإبان محنتها أثناء الحرب العالمية الثانية — على الأبرياء من المصريين الذين أنقذوها في أخطر فترة مرت عليها في التاريخ ، وكان في يدهم لو أرادوا خنقها وإراحة أنفسهم والعالم من بغيها ، ولكنهم صدقوا وعودها وآمنوا بما قررته هي وشريكتها أمريكا في ميثاق الأطلنطي ١٩٤١ من احترامهم لحريات الأمم السياسية والفكرية والدينية . فلما انتهت الحرب تبخرت الوعود البريطانية وعادت بريطانيا تعلن ما أخفت وتعاطل فيما وعدت وقلبت الأمر ظهر المجن فقتلت أبناءها واحتلت في غمرة بغيها وعدوانها مدينة الإسماعيلية ومكاتب الجمارك في السويس وبورسعيد كما احتلت بلوكات السكك الحديدية في محطة « فرز نفيشة » فليسجل التاريخ وليشهد العالم ، وأما أنتم أيها الشهداء الأبرار فإلى جنة الخلد خالدين فيها أبدا

أمس واليوم :

في وسط هذا الخضم المضطرب من الحوادث والعواطف ومن خلال هذه الثورة الوطنية أكتب إليك أيها الأخ المصري مبيداً أمامك صورة جهاد آبائك ومسجلا لك جهادك ، فأنا أحدثك الآن عن مصر في ثورتين : الثورة الأولى ١٩١٩ والثورة الثانية ١٩٥١

بدأت ثورة ١٩١٩ عقب الحرب الأوربية الأولى ١٩١٤ — ١٩١٨ فقصد زعماء مصر سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي إلى دار الحماية وطالبوا المعتمد البريطاني باستقلال مصر فأنكر عليهم طلبهم ووعدهم بمخاطبة حكومته

انصرف الزعماء من دار الحماية وألفوا « الوفد المصري » ليعمل على تحقيق استقلال مصر والسودان استقلالا تاما

بدء العمل :

في ٢٠ نوفمبر ١٩١٨ طلب سعد ورفاقه من المعتمد البريطاني أن يسمح لهم بالسفر إلى أوربا لعرض مطالب مصر على مؤتمر الصلح المنعقد في باريس ، فجاءهم الرد من السلطة بإرجاء الإذن « إلى أن تزول الصعوبات التي تمنع سفرهم في الوقت الحاضر »

احتج سعد ولم يفترق السهل أو يتوان . أخذ يجمع التوكيلات من الأمة المطالبة بحقوقها فأقبل الناس عليها بشغف . ورأت السلطة في هذا الأمر خطرا فقررت منعه وصادرت التوكيلات . احتج سعد على مصادرة التوكيلات وأخذ يواصل نشاطه فوجه نداء لمعتمدي الدول الأجنبية جاء فيه :

« ايمانا بالتصريحات المؤكدة التي أعلنها ساسة الحلفاء عند نشوب الحرب ولا زالوا يجاهرون بها في انتصارهم للحق والحرية

واعتمادا على تلك الروح الجديدة التي تدفع أمم العالم وديمقراطياتها نحو ذلك المثل الأعلى مثل الحياة المطمئنة في كنف العدل وبحبوحة السلام

ونقف على الأخص بأن دخول الولايات المتحدة الفاصل في المعترك العالمي لم يكن لها فيه من قصد سوى صيانة حقوق الأمم الضعيفة واستفتاح عصر عدل مجرد من الهوى تبور فيه إلى الأبد صفة من لا ينظر إلا إلى إرضاء مطامعه الشخصية ولا يهمه غير بسط سلطته على بني الإنسان اعتمادا على القوة والجبروت

فمصر التي تعرف واجباتها وتهتم بمصالح نفسها رأت بمجرد عقد الهدنة الأخيرة أنها بعد أن لبثت طول مدة الحرب على أكمل حال من السكينة وحسن الوفاء ، قد آن الأوان لتجهر — بما لها من حق في أن تحيا حياة حرة خالصة من القيود والأغلال »

واختتم الوفد النداء بالاحتجاج على الخطة التي اتخذت معه وعلى كل قرار بشأن مستقبل مصر لا يؤخذ رأي الأمة المصرية فيه

وفي نفس اليوم ٦ ديسمبر ١٩١٨ أرسل إلى رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج برقية جاء فيها :

« تحدث في مصر أمور مخالفة لتقاليد الحرية والعدالة التي هي شعار دولة بريطانيا، وللسياسة الحرة التي لا زلتم إماما لها ... هل تقبلون سعادتكم أن صوت أمة بأسرها يخفت بينما أرجاء العالم تدوي بأصوات الأمم المطالبة بحالها من الحقوق ومن حرية التصرف بمستقبلها ؟ . . . بالنيابة عن الوفد المصري أرفع هذه التصرفات لنظركم السامي . » سعد زغلول

موقف الوزراء :

هذا ما قام به سعد وزملاؤه . ولكننا من ناحية أخرى نجد أن رئيس وزراء مصر في ذلك الحين المغفور له حسين رشدي باشا وزميله عدلي يكن باشا لم يكونا غافلين وكانا يؤمنان تماما بحقوق مصر ، وكان رشدي يعتبر نفسه مسئولا عن مستقبل مصر ، ذلك لأنه كان رئيس وزراء مصر ١٩١٤ حين أعلنت عليها الحماية — وكان هو الذي قبل الحماية — فرأى أن الواجب يحتم عليه كمصري أولا وكرئيس للوزراء ثانيا أن يعمل على تخليص مصر من الحماية . لهذا تقدم بدوره يطلب السماح له وزميله عدلي بالسفر لمباحثة رجال الحكومة البريطانية في المسألة المصرية، فرفضت الحكومة البريطانية طلبهما فقد ما استقالتهما في ٤ ديسمبر فلم تقبل ، فرفعا استقالة ثانية في ٢٣ ديسمبر ولكنها رفضت أيضا ، فأتبعاها بثالثة في ٣٠ ديسمبر ١٩١٨ . رأت بريطانيا أن تصرح لهما بالسفر ولكن رشدي باشا علق سحب استقالته على التصريح للوفد بالسفر فرفض طلبه فاستقال

موقف رائع :

استقال رشدي باشا وأخذ الإنجليز يبحثون عن رئيس للوزارة يشغل مكانه وعن وزراء يتولون الحكم بدل الوزراء ، ولكن ذهبت جهودهم أدراج الرياح ذلك أن المصريين على اختلاف ميولهم ومذاهبهم وقفوا صفا واحدا يحاربون الغاصب الأجنبي ويدافعون عن حرية وطنهم واستقلاله ، وما كان واحد منهم ليخون الوطن وليتعاون مع الغاصب الأجنبي بقبوله الوزارة. وظلت مصر بلا وزارة في الفترة من ديسمبر ١٩١٨ إلى مارس ١٩١٩ وهكذا تجلت الوطنية المصرية رائعة قوية

هذا ما كان من أمر مصر في ١٩١٩ . أجمعت الأمة على الوقوف صفا واحدا في سبيل تحقيق مطالبها وصممت للعدوان الآثم . وإن مصر ١٩٥١ ستكون إن شاء الله أكثر قوة وأشد وطنية، وستدافع عن حرياتها دفاع المناضل المستميت، ولن يخضعها اعتداء أو تهديد ، ولن يثنيها وعد أو وعيد . وإلى اللقاء في العدد القادم إن شاء الله

أبو الفتوح عطيفة

قويسنا